99 - ـ فصل : استفت قلبك .

أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من أنواع الرخص فكنت كلما حصل شيء منه فاتني من قلبي شيء و كلما إستنارت لي طريق التحصيل تجدد في قلبي ظلمة .

فقلت يا نفس السوء ـ الإثم حواز القلوب ـ و قد قال استفت قلبك فلا خير في الدنيا كلها إذا كان في القلب من تحصيلها شيء أوجب نوع كدر .

و إن الجنة لو حصلت بسبب يقدح في الدين أو في المعاملة ما لذت و النوم على المزابل مع سلامة القلب من الكدر ألذ من تكآت الملوك و ما زلت أغلب نفسي تارة و تغلبني أخرى ثم تدعي الحاجة إلى تحصيل ما لا بد لها منه و تقول : فما أتعدى في الكسب المباح في الظاهر .

فقلت لها : أو ليس الورع يمنع من هذا ؟ قالت : بلى .

قلت : أليست القسوة في القلب تحصل به ؟ قالت : بلى .

قلت : فلا خير لك في شيء هذا ثمرته .

فخلوت يوما بنفسي فقلت لها : ويحك اسمعي أحدثك : .

إن جمعت شيئا من الدنيا من وجه فيه شبهة أفأنت على يقين من إنفاقه ؟ قالت : لا .

قلت : فالمحنة أن يحظي به الغير و لا تنالين إلا الكدر العاجل و الوزر الذي لا يؤمن .

و يحك أتركي هذا الذي يمنع منه الورع لأجل ا فعامليه بتركه .

كأنك لا تدرين ألا تتركي إلا ما هو محرم فقط أو مالا يصح و جهه .

أو ما سمعت أن من ترك شيئا ا عوضه ا خيرا منه ؟ .

أما لك عبرة في أقوام جمعوا فحازه سواهم و أملوا فما بلغوا مناهم ؟ .

كم من عالم جمع كتبا كثيرة ما انتفع بها .

و كم من منتفع ما عنده عشرة أجزاء .

و كم من طيب العيش لا يملك دينارين .

و كم من ذي قناطير منغص .

أما لك فطنة تتلمح أحوال من يترخص من وجه فيسلب منه من أوجه ؟ .

ربما نزل المرض بصاحب الدار أو ببعض من فيها فأنفق في سنته أضعاف ما ترخص في كسبه و المتقي معافى .

فضجت النفس من لومي و قالت : إذا لم أتعد واجب الشرع فما الذي تريد مني ؟ .

فقلت لها : أضن بك عن الغبن و أنت أعرف بباطن أمرك .

قالت : فقل لي ما أصنع ؟ .

قلت : عليك بالمراقبة لمن يراك و مثلي نفسك بحضرة معظم من الخلق فإنك بين يدي الملك الأعظم يرى من باطنك ما لا يراه المعظمون من ظاهرك .

فخذي بالأحوط و احذري من الترخص في بيع اليقين و التقوى بعاجل الهوى .

فإن ضاق الطبع مما تلقين فقولي له : مهلا فما انقضت مدة الإشارة و ا مرشدك إلى التحقيق و معينك بالتوفيق